الأهرام

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: المصور

التاريخ : ١٩٧٥/١٠/١٧

المسيرة الطويلة
من
الهزيمة إلى النصر

خمس سنوات مع السادات

الرجل الذى أحال هزائمنا إلى انتصارات

● فى صباح يوم الجمعة السادس من اكتوبر ١٩٧٠ ـ اى فى مثل هذا اليوم منذ خمس سنوات توجه الى صناديق الانتخاب ٧ر١٥٧ر٦٥٣ ناخبا من ابناء شعبنا العظيم للاستفتاء على رياسة الجمهورية ولان الاستفتاء كان حرا وديمقراطيا للغاية فقد جاءت نتائج الاستفتاء معبرة أصدق تعبير عن ارادة الشعب : ٦ر٤٣٢ر٥٧٨ ناخبا قالوا : نعم : للرئيس محمد انور السادات ، ٧١١ر٣٥٢ ناخبا قالوا لا : للرئيس محمد انور السادات ، وفى اليوم التالى لاعلان نتائج الاستفتاء ـ ادى انور السادات اليمين الدستورية امام ممثلى الشعب : اقسم بالله العظيم ان احافظ مخلصا على النظام الجمهورى وان احترم الدستور والقانون وان ارعى مصالح الشعب رعاية كاملة وان احافظ على استقلال الوطن وسلامة اراضيه » وفى اليوم التالى خاطب الرئيس السادات الشعب بقوله :

● اننى اعتبر النتيجة التى اسفر عنها الاستفتاء الشعبى على رئاسة الجمهورية امانة ومسئولية :اعدكم بدورى ان اعطيها كل شىء بلا تردد وبلا تحفظ ، وبكل مايملكه الجهد ، وتتسع له القدرة واننى واثق ثقةكاملة مستمدا من ايمانى بالله وايمانى بالشعب انكم جميعا سوف تكونون معى على الطريق الذى يمتد فيه نضالنا نحو افاق الامل المرتجى

● لابد أن اصارحكم اننى اعتز بالنتيجة التىاسفر عنها الاستفتاء الشعبى : انهاكثر منستة ملايين قالوا : نعم لترشيحى واكثر من سبعمائة الف قالوا لا :واعتبر بلامانة ان هذه ظاهرة صحية ، وان كنت اود ان اضيف اعتقادى الشخصى بان الذين قالوا لا : لم يقولوها اعتراضا على الثورة ولا على استمرار الطريق وانما كان قولهم لها تحفظا على المرشح لرئاسة الجمهورية

● اننى اعدكم اننى ساكون للجميع : للذين قالوا نعم ، وللذين قالوا لا : ان الوطن للجميع والمسئول فيه مؤتمن على الكل بغير استثناء

● لقد شرفنى ان يقول اكثر من ستة ملايين رايهم بنعم واعتبرت ذلك حسن ظن مسبق ، اعتز به وارجو الله ان يمنحنى القدرة على ان اكون اهلا له ، وجديرا به .

● ولقد شرفنى فى نفس الوقت ، ان يقول اكثر من سبعمائة الف رايهم بلا ولم اعتبر ذلك رفضا وانما اعتبرته حكما مؤجلا وارجو الله أن يمنحنى القدرة على ان أصل بالامانة الى حيث يجب ان تصل الامانة وان يجىء الحكم ، المؤجل قبولا حسنا ، ورضا من الناس والله فى نهاية المطاف

● ان هناك عملا كبيرا يجب ان نقوم به وان نحسن القيام به : ان هناك معركة تنتظرنا ويجب ان نعطيها شعبا وجيشا كل ما تفرضه علينا من تبعات وتضحيات ان هناك امة عربية تناضل على الطريق . وسوف نكون خير رفقة فى النضال : ان هناك عالما باسره فيهالاصدقاء وفيه الاعداء وسنكون اوفى الاصدقاء للصديق واشرف المقاتلين ضد العدو .

● ان هناك بناء سوف نواصل اقامته وهناك تقدما سوف نحاول اللحاق به وهناك قضايا انسانية سوف نكون لها الحماية والسند ، وهناك اعلاما عالية فوق رءوسنا ، وسوف يكون جهدنا بمشيئة الله عزا لبادئنا وكرامة لاعلامنا » .

خطوط رئيسية واضحة

وفى اول لقاء للرئيس انور السادات بالقوات المسلحة بعد انتخابه رئيسا للجمهورية ، اكد الرئيس السادات على ان الواجب الاول للقوات المسلحة هو القتال ولابد من العمل على رفع الكفاءة القتالية بكل قوة وبكل الاساليب وبكل الجهود لقد عشنا جميعاالفترة التى تلت يونيو ١٩٦٧ واول دفعة وصلتنا من السلاح ظن الروس اننا لن نستوعب السلاح قبل مضى عام ونصف ولكن الذى حدث اننا استوعبنا الاسلحة فى خمسة اشهر وكان الخط الدفاعى الاول قويا متماسكا

● اننا لن نسمح بان يتجمد الوضع ونحن فى موقف القوة ولابد ان تواصلوا النضال فالمعركة آتية فالحل السلمى والحل السياسى لن يتحققا الا بكم

● لن يسمح لنا التاريخ ولن يغفر لنا شعبنا اذا تهاونا فى مسئوليتنا : انها ليست مسئوليتى وحدى وانما هى مسئولية كل واحد منكم .

● ان الشعب لم يبخل على قواته المسلحة بشىء: لقد اعطاكم بكل رضا لانه يثق فيكم ولكنه لن يرحمكم اذا تهاونتم او فرطتم ولابد ان تحافظوا على ثقة شعبكم فيكم .

اول حديث صحفى

● وفى اول حديث صحفى ادلى به الرئيسالسادات بعد اختياره رئيسا للجمهورية اكد لسولزبرجر مدير مكتب جريدة نيويورك تايمز الامريكية فى أوروبا على الحقائق التالية :

● ان مفهومنا لسياسة عدم الانحياز هو اننا مع السلام ضد الحرب ، ومع الحرية ضد السيطرة ومع التقدمضد التخلف ومع الصديقضد العدو وحين تصبح المسالة ان نكون او لانكون عندئذ لايمكن فى تلك اللحظات ان نقف فى سلبية

● ان الولايات المتحدة لا تفهم الثورة المصرية او الشعب المصرى حتى الان ولقد كان حلف بغداد نموذجا لعدم الفهم المادى والنفسى لهذا الشعب اننا شعب بسيط متواضع ولكننا تنفجر فينا كل الشراسة والعناد اذا ماحاولت دولة كبرى ان تمارس الضغط علينا والامريكيون يفتقرون الى فهم تلك الحقيقة .

● من السخف ان يعتقد الامريكيون ان امة كامتنا يمكن ان تركع امام اسرائيل او تخضع لها ، لاسيما اذا كانت هذه الامة هى التى اهدت الحضارة الى العالم اجمع : ان محاولات فرض تسوية عن طريق الارهاب والابتزاز لا تفلح معنا على الاطلاق

● اننا كنا ولا نزال وسوف نظل غير منحازين ونحن الذين نفسر عدم انحيازنا على ضوء مبادئنا .

● ليس هناك من عائق بيننا وبين الامريكيين الا المشكلة الاسرائيلية وسبب المتاعب هو ان الامريكيين يأخذون جانب الاسرائيليين ولكننا لسنا مجانين لكى نشن حربا ضد الولايات المتحدة الامريكية وكل مانريده من الولايات المتحدة الامريكية ان تنفذ تعهداتها مستخدمة البرنامج الذى نص عليه اولا قرار مجلس الامن ثم عادت فتضمنته مبادرة روجرز واذا لم يكن الامريكيون وراء اسرائيل فانه يمكن تحقيق ذلك كله .

المعركة اولا والمعركة اخيرا

وفى الدورة الخامسة للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى التى بدأت فى ١٢-١١-٧٠ اكد الرئيس السادات - بعد انتخابه رئيسا للاتحاد الاشتراكى العربى على اننا نعمل من اجل السلام الى اخر فرصة ولكننا فى الوقت نفسه نستعد للحرب الى اخر طلقة وان معركتنا السياسية والعسكرية ماضية فى طريقها ونحن فيها بقوة امتنا العربية نسير ونتقدم ونحن فيها بإصرار شعبنا وتصميمه نسير ونتقدم .

وفى الجلسة الختامية لتلك الدورة قال الرئيس السادات : ان معركتنا فى مواجهة اسرائيل والامبريالية العالمية المساندة لها سوف تستمر فى كل الميادين وفى كل الجبهات ايا كان طولها ، وتكاليفها حتى يتم التحرر الكامل لكل الارض العربية المحتلة وبلا تنازل عن شبر واحد منها ولسوف توضع من اجل تحقيق هذا الهدف كل الامكانيات وكل الجهود والارواح حتى يتم النصر على الصهيونية والامبريالية »

وفى افتتاح الدورة الثالثة لمجلس الامة فى ١٩-١١-٧٠ اكد الرئيس السادات على ان المعركة اولا ، والمعركة ثانيا والمعركة اخيرا » وفى تصور اداء تلك المهمة ركز الرئيس السادات على الاهداف التالية :

● علينا الان ان نثبت ان عقولنا وايدينا قادرة على بناء احلامنا وامانينا ، واننا نفرق بين التيه فى الوهم وبين الوقوف على ارض الواقع ، وان هناك من ارادتنا صلة تربط بين مانريد بما نستطيع ، وترفع الحاجز عن الوعد والوفاء بالوعد .

● لا اقصد بالمعركة مجرد القتال وانما اقصد التحرير الشامل لكل الارض العربية المحتلة بعدوان سنة ١٩٦٧ ذلك اننا اذا لم نحرر هذه الارض فمعنى ذلك اننا خضعنا للعدو الاسرائيلى الاستعمارى ومن هم خلفه وليس هناك من يقبل فى امتنا تحرير بعض هذه الارض والتخلى عن بعضها الاخر .

● ان التنازل عن اى شىء يعنى التنازل عن كل شىء نحن نريد السلام ولم نربط سلامنا بشىء غير العدل وحده .

● ان المعركة هى اولى الاوليات فى مهام المرحلة وفى سبيلها كل شىء : من اجلها العمل فى الداخل ومن اجلها العمل فى الخارج . على اساسها صداقتنا مع الاصدقاء وعلى اساسها عداوتنا مع الاعداء مطالبها هى الاسبق وضروراتها قبل اى ضرورات

● ليعرف الكل على ارضنا وعلى ارض امتنا ، وفى العالم كله اننا فى هذا لا نساوم ولا نتاجر ولا نزايد

● الوحدة العربية ليست دعوى تاريخ فحسب وانما هى ضرورة مستقبل ، ومصير ، قبل اى شىء اخر .

● لن يتزعزع ايماننا فى ان الامة العربية امةواحدة حريتها واحدة وتقدمها واحد ، واملها فى الغد واحدة وفى يقين شعبنا ان من يشكك فى هدف الوحدة انما يشكك فى امكانية البقاء العربى واستمرار هذا البقاء كما يجب ان يكون البقاء بمعناه الايجابى : حياة وحرية

● نحن اكثر من غيرنا مدعوون الى الاخذ باسباب العلم وتلك ضرورة لا يصنعها اتساق ذلك مع ماضى حضارتنا فقط وانما هى ضرورة تصنعها حتمية ان تتفق امالنا العريضة مع منجزاتنا الحقيقية واول خطوة على هذا الطريق هى التعليم الذى يجب ان ننتقل به باسرع مايمكن وابتداء من العام الدراسى المقبل من بقايا القرن التاسع ، الى افاق عصر تفجير الذرةوغزو الفضاء :

● ان الشباب هو الغد وبمقدار مايستحق الغد من اهتمامنا بمقدار مايجب ان نعطى الشباب اليوم والشباب اليوم بحاجة الى شيئين : حوار بين الاجيال بدلا من صراع بين الاجيال : حوار تنقل به التجربة وتنتقل به المسئولية ، والى امل لاتصده حواجز واخطر الاشياء أن يشعر شبابنا ان آماله فى وطنه مقيدة

● سوف يكون بامكاننا ان نقيم على هذه الارض دولة عصرية لايكون الحديث فيها عن العلم والتكنولوجيا مجرد شعارات ولكن يتحول فيها العلم والتكنولوجيا الى اسلوب عمل والى تحقيق عملى لاهداف مجتمع أمامه مسئوليات عظمى وتملؤه امال أعمق ،

بعض المؤامرات والمعوقات

تلك هى بعض الاهداف الرئيسية التى ركز عليها الرئيس السادات منذ اليوم الاول لتوليه أعباء قيادة هذا الشعب فى مرحلة عصيبة وخطيرة وقاسية من تاريخنا الوطنى والذى نستطيع ان نقرره هنا بايمان وصدق ـ بعد استعراضنا السريع لتلك الخطوط الرئيسية التى وضعها الرئيس السادات بعد توليه مهامه الدستورية فى ١٦ اكتوبر ١٩٧٠ ـ ان الرئيس السادات قد التزم الى ابعد الحدود بتلك الاهداف الرئيسية كما انه قد عمد الى تنفيذ تلك الاهداف بكل ما يملك من جهود مضنية مهما كانت العقبات والمؤامرات التى اعترضت طريق التنفيذ .

ولسنا بحاجة الى القول بان الرئيس السادات قد ووجه منذ اللحظات الاولى لتوليه الرئاسة بالكثير من المؤامرات التى دبرتها مراكز القوى التى كانت تملك السلطة الفعلية فى كل ما يتعلق بامور البلاد كما اننا لسنا بحاجة الى التاكيد بان السلطة الفعلية كانت قد بدأت منذ ١٦ اكتوبر ١٩٧٠ ـ ورغم التعارض والتناقض الموجود بين صفوفها ـ تبذل كل جهد ممكن لمحاصرة الرئيس انور السادات تمهيدا للانفراد بالسلطتين الفعلية والشرعية معا : اذكر مثلا ان اثنين من اعضاء اللجنة التنفيذية العليا كانا ينشران ـ فى بعض الصحف ـ الكثير من المقالات عن سياسة مصر الداخلية والخارجية دون ان يرد اسم الرئيس السادات ولو مرة واحدة فيما يكتبانه من مقالات : اذكر ايضا ان احدى الصحف المصرية أصدرت عددا خاصا عن الرئيس جمال عبد الناصر به عشرات من الصور للرئيس عبد الناصر دون

أن تنشر صورة واحدة للرئيس السادات مع الرئيس عبد الناصر رغم أنها نشرت العديد من صور زعماء مراكز القوى مع الرئيس الراحل .. واذكر ايضا ان التنظيم السياسى وكانت مراكز القوى تسيطر عليه لم يذكر اسم الرئيس انور السادات فيما أصدر من كتب وبيانات ونشرات الا فى حدود ضيقة للغاية لاتكاد تذكر حتى ان القواعد الشعبية لذلك التنظيم قد وقر فى ذهنها منذ بداية حكم الرئيس السادات ان المسيطرين على التنظيم السياسى قد بدأوا معركتهم بصورة مكشوفة ضد السلطة الشرعية

كان هذا فى الاشهر الثلاثة الاولى لتولى الرئيس السادات اعباء الرئاسة أما فيما بعد تلك الشهور الاولى فقد بدات الحملات المركزة من القابضين علىزمام السلطة الفعلية ومن انصارهم - وهم للعلم لم يكونوا يزيدون على مائة شخص تقريبا - تتركز علىالرئيس أنور السادات وقد اتخذت تلك الحملات مظهرا عنيفا عندما طلب الرئيس انور السادات من الدكتور محمود فوزى رئيس مجلس الوزراء وقتئذ اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتصفية الحراسات القائمة بواسطة لجان قضائية تتم مهمتها فى مهلة زمنية محددة على ان يتقدم رئيس الوزراء الى مجلس الامة بتشريع خاص يجعل فرض الحراسة مستقبلا محددا بضوابط قانونية ولدواع تقتضيها حماية مكاسب الشعب وسلامة امنه الوطنى وان يتم ذلك وفق ضمانات خاصة تضم الى جانب القضاة المتخصصين المكلفين بتطبيق أحكام القانونعنصرا شعبيا على غرار المحلفين تحقيقا للمشاركة الشعبية والرقابة الشعبية فى نفس الوقت : وكان فرض الحراسة بمثابة عقوبة سريعة تلجا اليها مراكز القوى للتخلص من خصومها الشخصيين كما كان فرض الحراسة سيفا تهدد به مراكز القوى كل من يفكر فى الوقوف فى طريقها ، وقد استخدمت مراكز القوى تلك بعض اذنابها وعملائها فى الخارج الذين كانت تغدق عليهم من أموال الشعب الكثير للهجوم الصريح الواضح على سياسة الرئيس السادات وخاصة فيما يتعلق باطلاق الحريات : لقد كانت تلك المراكز مؤمنة تماما بان اى اطلاق للحريات يقرب دولتها من الانهيار وفى الوقت ذاته يقوى من سلطة الرئيس السادات ومن التفاف الجماهير حوله . ويذكر البعض ان الرئيس السادات قد أصدر اكثر من مرة بعض الاوامر بالافراج عن بعض المعتقلين السياسيين الذين لم توجه اليهم أية تهمة

سياسية او غير سياسية غير ان اوامر الافراج هذه لم تكن تنفذ على الاطلاق ، وكذلك الحال فيما يتعلق برفع بعض الحراسات التى ظهر انها ماوضعت الا للانتقام الشخصى ولم تكن تلك الحراسات ترفع بالرغم من اصدار القرارات الخاصة بها

ولقد كانت مراكز القوى لعدم فهمها لشخصية الرئيس انور السادات ولعدم فهمها طبيعة الشعب المصرى كانت تعتقد بغباء شديد أن أيام الرئيس السادات فى الحكم قليلة ومعدودة ولهذا كانت تتصرف وكانها فى طريقها الى الاستيلاء على السلطة الشرعية .

ولعل أخطر ماقامت به مراكز القوى فى الشهور الاولى من حكم الرئيس السادات انها حاولت ان تضرب الجيش بالاتحاد الاشتراكى وانها حاولت أن تقحم الاتحاد السوفييتى فى بعض المشاكل الداخلية مما أوشك ان يعرض مستقبل البلاد ـ فى تلك الظروف الدقيقة ـ لاخطار جسيمة .

طبيعة مراكز القوى وحدود امكانياتها

ولقد كثر الحديث عن مراكز القوى فى السنوات الاخيرة . وقد أزاح الرئيس السادات فى مذكراته السياسية التى نشرتها أخيرا الاهرام الكثير من أسرار تلك المراكز كما ان التحقيقات والمحاكمات التى تمت مع اعمدة تلك المراكز قد فضحت الكثير من أسرارهم ، وأساليب عملهم والتناقض الواضح بين مصالحهم ، كما ان بعض الدراسات الموضوعية فى خارج مصر قد تناولت بكثير من الشرح والايضاح بعض مايتعلق بمواقف قادة تلك المراكز واهدافهم الشخصية والسياسية والذى نستطيع أن نقوله حول هذا الموضوع . ونحن بصدد محاولة تاريخ تلك السنوات الخمس من قيادة الرئيس السادات للشعب المصرى وانصافا للحقيقة وانطلاقا من الاحساس الوطنى بالمسئولية السياسية والقومية . نحاول ان نركز ونحن بصدد تلك الدراسة التاريخية البحتة على بعض أمور هامة وجوهرية نشير الى بعضها على سبيل المثال لا الحصر :

● لم تكن مراكز القوى هذه تمثل أبدا تيارا فكريا معينا ، كما انها لم تكن تمثل أبدا ايدولوجية ثابتة أو غير ثابتة وانما كانت تمثل ـ فى الواقع ـ مصالح شخصية لافراد قلائل يعدون على أصابع اليد الواحدة أو على أصابع اليدين على اكثر تقدير

وان هذه المصالح الشخصية كانت تتفق حينا وتتعارض أحيانا وقد اتفقت جميعها على أمر واحد هو ان تتخلص من قيادة انور السادات . تلك القيادة التى رات مراكز القوى هذه انها العقبة الكئود امام انفرادهم بالسلطة

● لم ترتبط هذه المراكز بالزعيم الراحل جمال عبد الناصر فكرا ولا هدفا ولم يكن هناك مايربطها فى الغالب بعبد الناصر الا الرباط الوظيفى البحت فهم كانوا مجرد موظفين فى مرحلة تاريخية معينة : بعضهم فرضته ظروف النكبة ، وبعضهم فرضته ظروف خارجية وبعضهم برز فى الخداع ، وتفوق فيه حتى انخدع هو فى نفسه وخدع الاخرين ، ولو اننا حاولنا ان نجد أى رباط فكرى أو ثورى يربطهم بعبد الناصر لفشلنا فى محاولتنا ، ولو اننا حاولنا ان نعثر على ماض وطنى أو ثورى لتلك القيادات لما وجدنا الا الانتهازية والوصولية والقدرة الفائقة على الخداع !

● هذه المراكز كانت قادرة على التحول والتلون بسرعة غريبة فهى تدعى اليسارية ان كانت اليسارية هى الطريق للمناصب العليا ، ثم هى قادرة على التنصل من تلك اليسارية اذا ماكان الطريق الى المناصب العليا يتعارض واياها ، ولذلك فان اى وصف فكرى معين لتلك القيادات لايمكن ان يكون صحيحا ومنصفا لان التحول الفكرى كان من طبيعتهم ، كما ان اللعب على كل الاحبال والاكل على كل الموائد كان باستمرار اسلوبهم الامثل .

● رغم ان تلك المراكز قد ظلت فى السلطة سنوات وسنوات وكانت تجمع الى سيف المعز وذهبه الا انها لم تستطع ابدا ان تجذب اليها الجماهير ، وكل ما استطاعت أن تفعله خلال السنوات التى قضتها فى الحكم انها جذبت فقط عناصر تتفق واياها فى الهدف والوسيلة .

● الذى لا جدال فيه انه لولا القضاء على تلك المراكز وبحسم شديد ، وبسرعة مذهلة ايضا لما امكن لمصر أن تحقق ماحققته من انجازات ضخمة فى السنوات الماضية ..

صبرى أبو المجد